الانشغال بالداخل أكثر من اللازم.. خطر

كتاب وآراء | 30 نوفمبر 2016 | 2,928 | 0 تعليق

كلام صباشر
فيصل عبدالعزيز الزامل

لا بد من الكلمة الصريحة، وفي التوقيت المناسب، في ما يحقق الأمن للشعوب وللدول، وتحديدا تجاه ما تقوم به بعض الدول في بث الفرقة بين أبناء الشعب الواحد في عدد من دول المنطقة، بحجة نشر المذهب الشيعي، وهو ادعاء غير صحيح، بل هو تصرف أيديولوجي يشبه ما كانت الماركسية تفعله بغرض الاستيلاء على خيرات الشعوب، وهذا ما يحدث فعليا في العراق حاليا. وأما اعتناق الدين الإسلامي -في اوروبا مثلا- فهو لا يعني معاداة المواطن الفرنسي المسلم لبلده، ولا قبوله نقل خيراتها الى المغرب او الجزائر، مثلما هو في النموذج الذي يسخر فيه مقدرات لبنان وخيراته للغير، ولكي تعود الصناديق الخشبية حاملة جثث الشباب اللبناني من سوريا، تحقيقا لسياسة وتوجهات دولة أخرى.

يا سادة.. ويا سيدات، إن سلاح الكلمة لا يقل أهمية عن سلاح الميدان في المحافظة على اللحمة الوطنية في بلاد العرب قاطبة، الكلمة النظيفة من الشوائب، كلمة توضح أن تقليد مذهب ديني شيء، وتسليم مقدرات وخيرات بلد وزهرة شبابه لخدمة أهداف بلد ثان شيء آخر، وأن السكوت عن تسرب المياه الملوثة من تحت الباب شيء خطر، فعلناه في الثمانينات مع الجار الشمالي، وتشاغلنا عن ذلك التسرب بأمورنا الداخلية أكثر من اللازم، وكان ثمن ذلك التشاغل باهظا، لا بد من استنفار العقول المتيقظة التي تعرف الفرق، وتستفيد من درس 1990 وما قبله، يوم أن استدرجت بعضنا شعارات البوابة الشرقية، ولن نستدرج مرة ثانية من البوابة المذهبية، فالمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، ففي تجربتنا السابقة لم يسمح «صدام» لمن صدقه بالتراجع عندما اكتشف الحقيقة، فتم اعدام كويتيين من أصدقاء الامس، وهو درس للمستقبل لمن يظن أن صداقة نظام له مصالح يمنحه الأمان والعاقل من وعظ بغيره، فقد اكتشف الناس في العراق أن ايران: «هي التي تمانع في انشاء ميناء بحري جديد للعراق خشية مزاحمتها - وهي التي استبدلت القوة الحكومية بالميليشيات حتى أفرغت الدولة من مضمونها السيادي- وهي التي تكتفي بتوظيف المزارات سياسيا من دون العناية بها في أبسط أمور النظافة والصيانة...الخ»، وصار علماء الشيعة هناك يجاهرون بالغضب مثلما فعل قبلهم اللبنانيون، ولكن بعد فوات الأوان، حيث تستعرض بعض الدول جيشها في الأراضي اللبنانية فور تنصيب العماد عون، لتذكيره بالسلطة الحقيقية.. حتى لا ينسى!

هذه التصرفات تتخذ من الطرح الديني سلما لها، فمثلا إذا صدق البعض في تونس هذا التوظيف، فلن يطول بهم الوقت حتى تنشأ ميليشيا على أراضيهم لتزاحم الدولة وتكرر نموذج «لبنان - اليمن - العراق.. الخ»، وهو تقليد «حرفي» للنموذج الصهيوني الذي يتخذ من الطرح الديني ممرا الى ممارسة استعمارية صرفة لا علاقة لها حتى بالديانة اليهودية، ولهذا التقى الطرفان في تلك الغايات «اللادينية»، وهو أمر بات واضحا، سواء لليهود المتدينين أو لمعظم علماء الشيعة في بعض الدول والبلاد العربية، والمطلوب من الجميع، ان يقولوا «لا» كبيرة لهذا التوظيف الاستعماري للدين الذي

سيصل في نهاية المطاف الى ما وصلت اليه سائر التجارب المماثلة من اندحار أمام الحقائق الراسخة على أرض الواقع، ان جميع الأديان تتبرأ من استعباد الانسان لأخيه الإنسان، سواء جرى ذلك -كذبا- تحت راية الصليب أو الهلال أو نجمة داوود، وقد تصاعد الغضب في البيت الشيعي بعد أن سقط شعار ثورة المستضعفين تحت وقع البراميل المتفجرة، وحصار الشعوب في تعز وتجويعهم، هل يعقل أن تلك التصرفات سوف تقنع هذه الشعوب بالمذهب الشيعي؟ أم أن الغاية هي التركيع فقط، على النمط اللبناني؟

إننا نحن، الشعوب، الضحية لتلك الممارسات، ولا غنى لنا عن التضامن والنظر بتركيز وفي ضوء التجارب فوق أي توظيف سمج للدين، فنحن شركاء في المصير، والحريق لن يوفر بيتا ولا مذهبا، ولن ينجو المحرك الغافل من مصير من سبقه، فليستيقظ الجميع، ولنعمل على وطن واحد، لا فضل فيه لأحد على أحد الا بالعطاء والصدق والتواضع بغير استكبار، وقد حدد الحديث الشريف بشكل دقيق معنى الكبر، فقال عليه الصلاة والسلام: «الكبر بطر الحق، وغمط الناس»، أي التقليل من شأنهم، وقانا الله جميعاً من تلك المنزلقات.

فيصل عبدالعزيز الزامل